Vol. 24 No. 2 (2024)
ISSN: 1823-4313 / e-ISSN: 2785-9169
https://ejournal.unipsas.edu.my/

القيم الإسلامية وأثرها في غرس التكافل

سعد المغازي عبدالمعطي محمود[1]

عبدالحليم بن عبدالكريم[1]

[1]جامعة السلطان أحمد شاه الإسلامية ببهانج – مإلزيا

ملخص

تقوم القيم الإسلامية بدور كبير في المجتمع، ويتضح هذا من خلال ما تغرسه في الفرد منذ نشأته على الشعور بالمسؤولية تجاه غيره ممن يعيشون حوله، بل تمتد هذه المسؤولية للدنيا بأسرها، فالإسلام يربي في الفرد المسلم الشعور بالمسئولية تجاه إخوانه، ليس في الدين فقط وإنما مد ظلاله لكل إنسان، ولم لا أليس الإنسان هو محور التكريم الإلهي؟! مشكلة البحث: يواجه الكثير من الآباء صعوبات في غرس القيم والمباديء التي يؤمنون بها في أولادهم، فما هو الطريق الأمثل لإقناع الأبناء بقيم التعاون والإيثار؟ وتتضح إشكالية البحث في كيفية تفعيل القيم التربوية لإنشاء مجتمع متكافل؟ وما دور الفرد والمجتمع في هذا الشأن؟ وما العناية التي أولاها الإسلام للتكافل الاجتماعى؛ ليكون نظاماً لتربية روح الفرد وضميره وسلوكه الاجتماعى؛ وليكون نظاماً للعلاقات الاجتماعية؟ الهدف من هذا البحث: إبراز أن القيم الإسلامية منهج لحياة الفرد والمجموع، والإسلام كمنهج حياة يدعو أفراد المجتمع إلى الالتزام بهذه القيم، ومد يد العون لكل محتاج، فالإنسان كرمه الله سبحانه في كتابه الكريم، وجعله محور الرسالة

Perkembangan Artikel

Diterima:
Disemak:
Diterbit: 31 Oktober 2024

*Corresponding Author:

سعد المغازي عبدالمعطي محمود
جامعة السلطان أحمد شاه الإسلامية
ببهانج – مإلزيا

Email: saad@unipsas.edu.my

الخاتمة، وذلل له الأرض؛ لينتفع من خيراتها، وما كان ليستطيع أن ينهض بمهمته في الحياة إلا بتكاتفه مع الأخرين. منهج البحث:سلكت في هذا البحث منهج الاستقراء لبعض نصوص الوحيين، ورؤية بعض العلماء لمفهوم التكافل، مع تحليل النصوص الواردة بالبحث واستنتاج الأحكام منها. النتائج المتوقعة لهذا البحث: إبراز كيف كان الإسلام سباقاً على غيره من الأنظمة والتشريعات الوضعية في تقريره لهذا الجانب، وحث أفراده على هذا الأمر، بل إيجاب ذلك عليهم وقت الأزمات. هيكلة البحث: يتكون من ملخص وأربعة مطالب على النحو التالي: المطلب الأول: في مفهوم القيم ومصادرها ومجالاتها.المطلب الثاني: في ماهية التكافل في الإسلام وأهميته،المطلب الثالث:التكافل ومبادئ الإسلام.المطلب الرابع:التكافل بين المعنوي والمادي. وخاتمة فيها نتائج البحث، وقائمة المصادر والمراجع.

المطلب الأول

مفهوم القيم ومصادرها ومجالاتها

أولًا: تعريف القيم: في اللغة: لمادة(قوم)استعمالات متعددة بمعنى القيوم، والاستقامة والاعتدال، والقائم وغيرهم.

للقيم عدة معانٍ: منها: الاعتدال والاستقامة، ولزوم المنهج المستقيم، ثمن الشيء(قيمته)، دوام الشيء وثباته وعدم تغيره. (الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب(القاف)، المكتبة العلمية – بيروت، القاموس المحيط (فصل القاف)، تاج العروس فصل(القاف)، مختار الصحاح، مادة(قوم)

والذي نعنيه في بحثنا هذا، بأن المقصود بالقيم في اللغة بأنها المعايير الثابتة التي تُقَوِم سلوكَ الفرد وترشده إلى الاستقامة والاعتدال؛ ليحقق مكانته السامية عند الناس. (زينب حكيم:القيم الإسلامية وإسهامها في تكامل المجتمعات، 2020م.)

وفي الاصطلاح:القيم الإسلامية مجموعة من الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة.(قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية— 1984م.)

فالقيم محطات ومقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات، والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو في منزلة معينة بين هذين الحدين. (الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، 1987م.)

وفي تعريف آخر: بأنها المرتكزات التي تقوم عليها الحياة كما حددها الوحي المعصوم في علاقة الإنسان بنفسه ومحيطه وخالقه، فهي قيم إنسانية من حيث كونها مطلقة، وإسلامية من حيث كونها موجهة بالتشريع الإسلامي الضامن لوجودها واستمرارها في كيان النشيء. (الصمدي، القيم الإٍسلامية في المناهج الدراسية، 2019م.)

وبناء على ما سلف ذكره قبلُ من التعريف اللغوي والاصطلاحي، فيتجلى أن المقصود بالقيم الإسلامية:هي القواعد والمعايير التي جاءت في القرآن الكريم، والسنة المطهرة التي تقوم سلوك الفرد وترشده إلى جادة الصواب، عن طريق ترغيبه بالفضائل ونهيه عن الرذائل وكل فعل قبيح يقلل من شأنه ومكانته.(د زينب حكيم عبيد:القيم الإسلامية)

والقيم الإسلامية نوعان:

أ–قيم سلبية: وتتضح في هجر ما نهي الله عنه من شرور، ومعاصٍ، كالزنا والسرقة، والكذب.

ب– قيم إيجابية:وهي ما كُلف المسلم بأن يتحلى بها، وأن يأخذ نفسه بمقتضاها مثل: الصدق والأمانة، والرحمة وصلة الرحم، والكرم وحسن الجوار.(قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية)

ثانيًا:مصادر القيم:

يمثل القرآن الكريم المصدر الأول لكل القيم والأخلاق والتشريعات في الإسلام، فهو المنبع والأصل والأساس الذي يُسْتقى منه، ويُنهل من معينه الذي لا ينضب، وتأتي السنة كمصدر ثانٍ بعد القرآن الكريم، فهي المذكرة البيانية والتفسيرية للقرآن الكريم:

أولًا: القرآن الكريم: هو المصدر الأول لكل القيم في الإسلام، والشواهد على ذلك كثيرة، قال تعالى:" ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف، الآية رقم (33).

وقال سبحانه:"﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾. (سورة الإسراء، الآية رقم (9).

فهذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً برب العالمين جلَّ وعلا . يهدي للتي هي أقوم. أي الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب. (الشنقيطي، أضواء البيان – 1995 م.

هذا القرآن الكريم، الذي أنزله الله– تعالى– علىك يا محمد صلى الله عليه وسلم، يرشد الناس ويدلهم ويهديهم– في جميع شئونهم الدينية والدنيوية– إلى الملة التي هي أقوم الملل وأعدلها، وهي ملة الإسلام. فمنهم من يستجيب لهذه الهداية فيظفر بالسعادة، ومنهم من يعرض عنها فيبوء بالشقاء.

فكتاب الله سبحانه هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان؛ ويشمل ما يهديهم إله كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إله البشر في كل زمان ومكان.

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعاً بالحياة.

ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكإليف والطاقة، فلا تشق التكإليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفراداً وأزواجاً، وحكومات وشعوباً، ودولاً وأجناساً، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى؛ ولا تميل مع المودة والشنآن؛ ولا تصرفها المصالح والأغراض عن الأسس التي أقامها العلم الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان.

ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام. (طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم– دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، في ظلال القرآن – 1412 هـ).

وأول من التزم بقيم وأداب القرآن الكريم هو سيد الخلق– صلى الله عليه وسلم–؛ عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، قَالَتْ: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]" قُلْتُ: فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ، قَالَتْ:" لَا تَفْعَلْ، أَمَا تَقْرَأُ: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ} حَسَنَةٌ؟ [الأحزاب: 21]، فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، وَقَدْ وُلِدَ لَهُ". (مسند أحمد – 2001 م)

وكلمة قيم وردت في القرآن الكريم، فقال سبحانه:" ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام ١٦١].

ومعنى قيما كما يقول الإمام القرطبي:" مَعْنَاهُ دِينًا مُسْتَقِيمًا لَا عِوَجَ فِيهِ". (تفسير القرطبي – 1964 م

ثانيًا:السنة النبوية المطهرة: وهي المصدر الثاني للقيم، وقد أُمِرنا في أكثر من موضع من آي القرآن الكريم باتباع ما جاءت به السنة، ومن هذه النصوص القرآنية الآمرة باتباع السنة:

وقوله سبحانه:" ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾. (سورة آل عمران، الآية رقم (31).

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾. (سورة المائدة، الآية رقم (92).

فقد أمر الله عز وجل بطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحذر من المخالفة، وطاعته لا تكون إلا باتباع سنته.

قوله تعالى أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾. (سورة النساء، الآية رقم (59).

هذه الآية كسابقتها أيضا يأمرنا الله فيها بطاعة الرسول ويقرن طاعته بطاعته، وعند الاختلاف في شيء يكون المرجع في حسم الخلاف إلى كتاب الله، وسنة رسوله بعد وفاته.

قوله عز وجل أيضًا:" ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾. (سورة النساء، الآية رقم (80).

ففي هذه الآية يعتبر المولى عز وجل طاعة الرسول– صلى الله عليه وسلم – طاعة له.

قوله عز وجل أيضا﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.(سورة النساء، الآية رقم(13).

وقال عز من قائل:" ﴿... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾. (سورة الحشر، الآية رقم (7).

فالسنة هي المصدر التإلى للقرآن الكريم في معرفة ما نحتاج لمعرفته من أخلاق وقيم، فالرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تجسد القرآن في سلوكه وتصرفاته، ولذا وصفه المولى سبحانه في القرآن الكريم بقوله:" ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾. (سورة القلم، الآية رقم (4).

وفسرت عائشة رضي الله تعالى عنها لما سئلت عن خلقه –صلى الله عليه وسلم– فقالت: كان خلقه القرآن، فعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، قَالَتْ: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}. (مسند أحمد، 2001 م، والآية من سورة القلم، آية رقم (4).

فالسيدة عائشة لم تبالغ، ولم تسرف في القول؛ لأن القرآن العظيم لم يذكر أية قيمة من القيم الأخلاقية إلا وكان لها صداها ومكانتها في شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أقواله وأفعاله. (قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية– 1984م.

ووصفه بن أبي هالة بقوله:"كان دائم البشر سهل الخلق، لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح". (المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال /1981م).

وبرحمته – صلى الله عليه وسلم – استطاع أن يؤلف بين القلوب، رغم قسوتها وفظاظتها، فإذا القلوب هذه ألين من الماء وأنقى من صفحة السماء، ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ...﴾. (سورة الفتح، الآية رقم (29)

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ". (الحاكم، المستدرك1990م، البيهقي، السنن الكبرى، 1344 هـ.

فالقيم المستمدة من السنة باعتبارها المفسرة والشارحة للذكر الحكيم مصدر الهناء والسعادة للإنسان أي إنسان، إن تمسك بها، وعلى هذه القيم كان الرسول– صلى الله عليه وسلم– حريصٌ أشد الحرص على تربية صحابته عليها، بلا غلو أو تفريط، فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– دَخَلَ عليها وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَتْ فُلَانَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا قَالَ: مَهْ علىكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إلىهِ مَادَامَ عليه صَاحِبُهُ".(صحيح مسلم، كتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب فَضْلِ الرِّفْقِ.

والرحمة باعتبارها قيمة من القيم العظيمة في الإسلام، فقد ربطها الرسول– صلى الله عليه وسلم — بالخير بأوسع معانيه، عَنْ جَرِيرٍ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– قَالَ:" مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ".(صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَاب أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَدْوَمُهُ، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ أَوْ اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ أَوْ الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ أَوْ يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ).

فالإنسان حين يُحْرم من الرفق يُحْرم خير الدنيا، وينفر منه الناس وهم له كارهون؛ لفظاظته، وقسوته، كما أنه يُحْرم خير الآخرة أيضًا؛ لأنه حصاد العمل الصالح في الدنيا، وحين يفقد القلب الرحمة يضلُ طريقه إلى العمل الصالح، فاللمسة الحانية تفتح مغاليق القلوب، والكلمة الطيبة تحل المعضلات، وتفرج الأزمات. (، جابر قميحة، المرجع السابق، ص103).

ثالثًا:مجالاتها:يمكن القول أن مجالات القيم في الإسلام شاملة لكل جوانب الحياة، فلم تترك القيم في الإسلام أي جانب إلا وحددت الطريق الأمثل له.

فالقيم الإسلامية ذات نفعٍ عام يعود بالخير على المجتمع كله، ويزود عنه الضرر، وقد أشار الحديث إلى هذا المعنى العام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ

وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ".(صحيح البخاري، تَاب الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ، بَاب مَنْ أَخَذَ الْغُصْنَ وَمَا يُؤْذِي النَّاسَ فِي الطَّرِيقِ فَرَمَى بِهِ، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، بَاب فَضْلِ إِزَالَةِ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– قَالَ: عُرِضَتْ على أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنْ الطَّرِيقِ وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ". (صحيح مسلم، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب النَّهْيِ عَنْ الْبُصَاقِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا – وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ".(المعجم الكبير للطبراني ،كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ: النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ–" السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ".(صحيح البخاري، كتاب النفقات، بَاب فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْأَهْلِ.

فدائرة القيم في الإسلام اتسعت لتشمل كل مجالات الحياة، من مساعدة الآخرين، والتعامل معهم برفق، وتحمل أعباء الحياة بِجَلَدٍ وصبر، وكذلك الصدق والأمانة، والإخلاص وإتقان العمل، بل يدخل في نطاق القيم الإسلامية كل سلوك يعود بالنفع على المجتمع ويدفع عنه الأذى.

فالقيم الإسلامية هي الدين نفسه، فهي جامعة للعقيدة والشريعة، والأخلاق، والعبادات والمعاملات، فهي منهج حياة، وهي الأساس التي يقوم عليه أي مجتمع، فالقيم في الإسلام معيار للصواب والخطأ، بها يميز الإنسان بين الخير والشر، بين الطيب والخبيث، وإليها يرجع الإنسان لتكون الهادي له في سلوكه.

فالقيم في الإسلام تعتمد على كتاب الله سبحانه وتعالى- الموحى به إلى رسوله الأكرم — صلى الله عليه وسلم -، وهي بعيدة كل البعد عن أية أفكار أو فلسفات وضعية، فالقيم في الإسلام محصورة في المصدر الرباني، الذي يتسم بسمة الخلود والاستمرارية والصدق والصحة؛ فهو كتاب لم ينل منه التحريف والتبديل، ولم يُضَفْ إليه تفسيرات أو شروح أو توهمات وتصورات بشرية، أصبحت جزءا من صلبه، فبدلت طبيعته الربانية، بل بقي الإسلام محفوظا بمصدريه، قال تعالى:" ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. (الحجر، (9)

وهذا الحفظ الإلهي هو الذي أعطى لقيم الإسلام التفرد والخلود. (نادية العمري، صـ19، 1986م

ولما كان مصدر الثقافة الإسلامية هو القرآن الكريم كان محلا لثقة الناس كل الناس؛ فالقرآن لا يعتريه الشك، ومبرأ من كل نقص الذي يصاحب أي عملٍ بشري، فضلا عن أنه موافق للفطرة الإنسانية، ويلبي حاجاتها، ومناسب لكل جوانبها، وقيم تستمد من هذا المصدر جديرة بأن تحقق للإنسان كل حاجاته وتطلعاته، وتقدم له منهجًا شاملًا لحياته، والقيم الإسلامية بمنهجها الفريد هذا تختلف عن قيم الثقافات الأخرى لا سيما الثقافة الغربية منها، فالثقافة الغربية بقيمها المستمدة من الفكر الفلسفي إلوناني، والقانون الروماني، ومن النصرانية المحرفة، والفلسفة الوضعية، التي لا يمكن أن تلبي احتياجات الإنسان.(نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية،صـ20).

والقيم الإسلامية لها سماتها وخصائصها التي تتفرد بها،ومن أبرز السمات التي تتميز بها، التدرج، والتدرج سمة من الوجود، قال تعالى:" ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.(سورة المؤمنون، آيات(12، 13، 14)

والتدرج يساعد على ترسيخ القيم وتجذرها في أعماق الإنسان المؤمن، فيحافظ عليها حتى تستحيل جزءا من كيانه ونسيجه النفسي والعقلي والروحي، والوسطية العادلة في كل التشريعات الإسلامية، والهيمنة التشريعية لكل جوانب الحياة. (قميحة، المرجع السابق).

المطلب الثاني

ماهية التكافل في الإسلام وأهميته

يقصد بالتكافل: أن يكون آحاد الناس في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر، أو ذو سلطان كفيلا في مجتمعه، يمده بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الأفراد ودفع الأضرار. (أبوزهرة: التكافل الاجتماعى فى الإسلام –1991م).

فالتكافل التزام أفراد المجتمع، أي مجتمع وتضامنهم، وتعاونهم لإعانة المحتاج، ومساعدة المضطر.

قال تعالى:"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ...". (سورة التوبة، الآية 71).

فالإنسان في التصور الإسلامى لا يعيش منعزلا بنفسه، مستقلا بحاجاته، وإنما يتبادل مع الآخرين من أعضاء المجتمع المنافع التي تعود عليهم بالخير، وبما تعنيه من التساند والتكافل في أمور الحياة.

والتكافل الاجتماعي، يعد سمةً من سمات المجتمع المسلم القوي المتماسك، ويُتَرجم على أرض الواقع بقيام الموسرين بمساعدة المحتاجين؛ فالبر ليس أداء الفرائض والنوافل، وإغماض العين عن احتياجات الآخرين، فهذا لا يقره الإسلام؛ قال تعالى مُنوهاً عن هذه الحقيقة" لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَإلىوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَإلىتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ

إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ". سورة البقرة، الآية رقم (177).

أهمية التكافل:تبدو أهمية التكافل فيما يلي:

أ-الشعور بالمسئولية المجتمعية تجاه الآخرين:فالتكافل مؤداه أن يشعر كل إنسان في المجتمع بأن عليه واجبات يجب عليه أداؤها للمجتمع، وأن له حقوقا يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذى حق حقه من غير تقصير.(أبوزهرة: التكافل الاجتماعى فى الإسلام).

قال تعالى في وصف المجتمع المسلم"وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ". (سورة الحشر الآية 9).

وفي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم-إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ".(صحيح مسلم- باب استحباب المواساة بفضول المال).

ب-المساواة في الحقوق والواجبات:فالتكافل يعنى أن يكون كل الناس متساوين في أصل الحقوق والواجبات، ويوجب أن تكون نتائج الأعمال بمقدارها، فأصحاب الكفاءات العإلة لهم من الثمرات بمقدار كفايتهم، وذوو الكفاءات المحدودة يكون لهم بمقدارها من غير تجاوز للحد ولا شطط.(أبوزهرة: التكافل الاجتماعى فى الإسلام).

فالتكافل في حقيقته سد حاجة المحتاجين، ممن لا يستطيعون النهوض بأى عمل، كما أنه يسد عجز العاجزين، ويهيئ العمل للقادر عليه، ويرعى النَّشْءَ ويربيه. (أبو أبوزهرة: المرجع السابق- صـ7

وقد بين صاحب الرسالة الخاتمة هذا الأمر، ووضح مسؤولية المجتمع عن كل فرد من أفراده، عن ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الذي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ". (البيهقى – السنن الكبرى-، المستدرك).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ». (الطبرانى: المعجم الكبير).

ج-المحافظة على الكرامة الإنسانية:فالإسلام يوفر للإنسان الكرامة الاجتماعية، ويجعل التكافل المادي والأدبي هو الرباط الذي يجمع بين شتاتها، ويركز قواها؛ فلا تكون النعمة احتكارا لطائفة، ويكون الحرمان نصيب أخرى.(محمد الغزالى- الإسلام والأوضاع الاقتصادية -2005م).

فالمجتمع المسلم يجب أن يكفل لكل فرد فيه المستوى الواجب لمعيشته، بل على المجتمع أن ينظم أموره تنظيما يؤدي إلى هذه النتيجة التي لا مفر منها، وإلا كان مجتمعا لا دين له. (محمد الغزالى- المصدر السابق).

فالله كرم الإنسان وفضله على سائر خلقه؛ قال تعالى:" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً". (سورة الإسراء، الآية رقم (70).

فلا كرامة لإنسان دون الاهتمام بحاجاته المادية والنفسية، والجماعة هي التي تتكفل له بتحقيق تلك الكرامة من العيش الكريم، ولنا أن نتخيل خطورة وتداعيات تخلي المجتمع عن دوره التكافلي، وإهماله من يحتاج إلى العون والمساعدة، فالوعيد النبوي جاء مُحذِرا من ذلك فعن عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ: "...أَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ تَعَالَى". (المستدرك، مسند أحمد).

د-التكافل من الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي: فالمجتمع في الإسلام كيان متواصل، متراحم، متكاتف، والإنسان ينبغي أن يعيش فيه حياة كريمة تليق بإنسانيته، وكرامته الإنسانية، فلا يشعر بالحاجة

والعوز، ولا يقاسي آلام الحرمان، وذل الحاجة، بينما الآخرون يرفلون في النعيم، ورغد العيش، وفي الحديث عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى.(صحيح مسلم، باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ).

والتكافل في المجتمع المسلم يحول دون انهياره، وتفككه، فيبقي مجتمعاً متماسكاً قوياً، لا تؤثر فيه ما يعرض له من أزمات ومشاكل، وما يقابله من صعوبات وعقبات وأزمات، وما أحوج المجتمع المسلم لهذا المسلك الطيب في الأوقات الراهنة، وما يمر به بسبب هذا الوباء اللعين، الذي يلف العالم من أقصاه إلى أقصاه، ويقف العالمُ بأسره عاجزاً عن مواجهة هذا العدو المتربص به.

هـ-الحيلولة دون الانهيار الأخلاقي:فالتكافل يجعل المجتمع المسلم يحيا حياة مترابطة، حياة قوية، يجعله مجتمعاً يشد من أزر بعضه، فيه يعطف الكبير على الصغير، ويوقر فيه الصغير الكبير، ويحنو فيه القوي على الضعيف، ومجتمع هكذا يتحقق فيه الاستقرار النفسي، والرضا والانسجام مع الآخرين، بل من شأن التكافل وقت الأزمات أن يصل بالإنسان المسلم إلى درجة النفس المطئنة، التي أقسم الله بها في كتابه، قال تعالى :" يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ". (سورة الفجر، الآية رقم (27).

و-القضاء على المشكلات التي تعترض المجتمع المسلم:أدى انتشار هذا الوباء إلى انتشار البطالة، وكثرة الاحتياجات لقطاع عريض من المجتمع، وشيوع الضغوط النفسية، وتراكم مشكلات الحياة، ومن شأن التكافل في ظل هذه الظروف إن لم يقض عليها تماماً أن يخفف من حدتها، فيشيع الاستقرار النفسي؛ حين يشعر الإنسان ويطمئن أنه ليس وحيدا في مجتمعه، تتقاذفه أمواجه العاتية حتي يخر صريعاً.

ومن شأن التكافل الاجتماعي أن يعالج الخلل الواقع في المجتمع بين الأغنياء والفقراء، فالمال مال الله سبحانه وتعالى، والإنسان مستخلف فيه، وحين يساعد القادر المحتاج فإن ذلك ليس منةً منه، بل يعطيه حقه الذي شرعه الله سبحانه وتعالى.

فالتكافل الاجتماعي سمة من سمات المجتمع الراقي المتحضر، المتشرب لقيم الإسلام ومبادئه؛ لأنه يتوقف عليه سعادة المجتمع المسلم، وهنائه.

ز-تربية الضمير في الإنسان المسلم، وتحقيق الرقابة الذاتية، التي تنبعث من داخل الإنسان المسلم، فيتحرك من تلقاء نفسه لنجدة الآخرين، ويهب لمساعدتهم وقت الأزمات.

وقد حرص الإسلام على تنمية هذا الشعور الطيب في نفوس أتباعه، وغرس الرقابة الذاتية، والشعور باحتياجات الآخرين، فعن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ جُلُوسًا فِي صَدْرِ النَّهَارِ فَجَاءَ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ عليهمُ الْعَبَاءُ أَوْ قَالَ: مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ يَتَغَيَّرُ؛ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَخَطَبَ فَقَالَ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ علىكُمْ رَقِيباً" (سورة النساء، الآية رقم(1)).، ثُمَّ قَالَ:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (سورة الحشر، الآية رقم(18)).، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ"حَتَّى قَالَ:«وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ قَدْ كَادَتْ كَفُّهُ أَنْ تَعْجِزَ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ عَنْهَا فَدَفَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، تَتَابَعَ النَّاسُ فِي الصَّدَقَاتِ فَرَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، وَجَعَلَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ وَقَالَ:«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مِنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا".(صحيح مسلم،كتاب الزكاة، بَاب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنْ النَّارِ).

المطلب الثالث

التكافل ومبادئ الإسلام

من البديهيات القول أنه لا يوجد دين حض على التعاون والتآزر والتكافل كالإسلام؛وآي القرآن الكريم واضحة في هذا المضمار، ولو أحصينا ما قاله صاحب الرسالة في هذا المجال لأعيانا البحث والإحاطة بما قاله،ويكفي أن نشير إلى طرف من هذه النقول.

ففي القرآن الكريم دعا سبحانه –وتعالى–إلى التعاون،والتكافل، وحض على عمل الخير فقال سبحانه: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ).(سورة المائدة من الآية رقم 2).

وقال سبحانه:(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ) (سورة التوبة من الآية 71)، وقال سبحانه (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (سورة الحجرات من الآية 1).

وفي السنة: عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى.(سبق تخريجه).

وعن أبي هريرة– أن رسول الله قال:" من وسع على مكروب كربة في الدنيا وسع الله عليه كربة في الآخرة، ومن ستر عورة المسلم في الدنيا ستر الله عورته في الآخرة، ومن نفس عن مكروب كربة في الدنيا نفس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، والله في عون المرء ما كان المرء في عون أخيه") (كنز العمال، مسند أحمد).

فالتكافل في حقيقته ما هو إلا تقديم يد العون والمساعدة للآخرين الذين هم في أمس الحاجة لمن يمد لهم يد العون فيؤازرهم وقت الحاجة والأزمات، وهذا يستلزم تضافر الجهود وتكاتفها بين أفراد المجتمع لتحقيق هذا الأمر.

فالتكافل تضافر لجهود مجموعة من الناس للتعاون والتآلف والتكاتف حين يلم بهم أو بأحدهم خَطْبٌ من الخطوب، لكن ذلك يتم غالبا في شكل منظم، وليس بطريقة عفوية فرضتها حادثة وقعت أو ظروف

ألمت بشخص ما، وهذا الالتزام غايته رأب ما تصدع من بنيان المجتمع، والمجتمع ما هو إلا لبنات عمادها الفرد والأسرة،ومن هذه اللبنات يتكون المجموع.

عن أبى موسى الاشعري قال: أن النبى – صلى الله عليه وسلم- قال: أن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم". (صحيح البخارى باب الشركة فى الطعام، صحيح مسلم باب من فضائل الأشعريين).

فهل هناك صورة في دنيا الواقع في مثإلتها وسمُوِها كالصورة التي صورها الحديث الشريف، فهذا المثال الذي صوره الحديث هو ما يدعونا إله الإسلام دوماً وأبداً،ورغم أن بلوغ المثال من الصعب نواله، وكلما اقترب الإنسان من المثال نأى عنه؛ ليتطلع الإنسان دوما إله؛ فلا يركن إلى ما بلغه من خطوات في طريق الوصول إله.

فالحديث كما صور أن الأشعريين تتفاوت أنصبتهم في المساهمة وقت حلول الخطوب، فقد يكون لدى بعضهم الكثير، ويملك البعض القليل والآخر أقل القليل، لكنهم لا ينظرون إلى ذلك، فهم يقسمون ما جمعوه بالسوية، وهذا هو الإيثار الذي علمه الإسلام إياهم.

فهذا التكافل الأشعري يدل غاية الدلالة على أنه يتوافق تماما مع الهدي النبوي؛ولما لا فقد كان أول ما فعله الحبيب حين نزل يثرب (المدينة) التي استنارت بمقدمه هو تضامن المهاجرين والأنصار.

ففي صحيح مسلم (لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة، وليس بأيديهم شيء وكان الأنصار أهل الأرض والعقار فقاسموهم). (صحيح مسلم – كتاب الجهاد والسير – باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر حين استغنوا).

فالمؤاخاة كانت على الحق والمواساة، وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد الممات، بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم. (البوطي: فقه السيرة النبوية–1428هـ).

شيوع روح التعاون، وتلاشي الأنانية وحب الذات

فالرسول أقام التكافل على الإخاء الكامل،وهو الإخاء الذي تنمحى فيه الأنوية والذاتية،ويتحرك المرء بروح المجموع والمصلحة؛ بغية تحقيق آمالها، فلا يرى الإنسان لنفسه كياناً منفرداً عن الجماعة وإنما امتداداً لها.(الغزالى ـ فقه السيرة).

ولم يكن هذا الالتزام بين المهاجرين والأنصار عقداً أدبيا أو معنويا يمكن التحلل منه؛ وإنما جعله الرسول عقدا نافذا ملزما ارتبط بالدماء والأموال،وليس كلاماً مرسلاً تلوكه الألسن ولا يمتد أثره للمجتمع.

فالأخوة قامت على أسس مأدبة قوامها التكافل بين أفراد المجتمع المسلم بشقيه المهاجر الذي ترك الديار والأموال، ولم يعد يملك من حطام الدنيا شيئا، والشق الآخر الأنصارى الذي يملك ما يكفيه شر العوز والاحتياج، ورغم أن الهجرة (هجرة المهاجرين) إلى المدينة أحدثت بعضاً من ضيق العيش في المدينة، لكن المهاجرين لم يرتضوا أن يعيشوا عالة على إخوانهم،فمنهم من عمل بالتجارة حتى أصبح في مدة قصيرة من الأغنياء،حتى قيل عن بعضهم من شدة درايته بسوق التجارة أنه يحول بالتجارة رمل الصحراء ذهباً، أما من لم تكن له دراية بالتجارة ولا فنونها فاتجه إلى ما يحسنه كالزراعة،وكان هذا صنيع أبو بكر وعمر وعلي. (د/محمد حسين هيكل:حياة محمد،الطبعة الرابعة عشرة).

ورغم ما لاقاه المهاجرون من بأساء الحياة وشدتها لكنهم أبو أن يعيشوا كلا على غيرهم، فارتضوا الكد والتعب وبذل الشاق من العمل؛حتى يشعروا بلذة الطمأنينة لأنفسهم وعقيدتهم، هذا الإخاء والتكافل لا يمكن أن يُزرع في بيئات شاع فيها الجهل والمرض والنفاق والجشع والبخل، فبيئات كهذه لا يمكن أن يصح فيها تعاون وإخاء أو تكافل، أوتنمو فيها محبة، فالغاية السامية التي التقى عليها المسلمون، وأسوتهم الحسنة متمثلة في شخصية الرسول،هي التي قادتهم إلى هذا التكافل.

ولِم العجب في ذلك فإن الشخصية التي قادتهم اجتمعت فيها ما تشتت في عالم الإنسان من خصال حميدة، ومواهب مجيدة، فلم يكن بِدْعا أن يكون صورة للكمال لايمكن أن يبلغها بشر، فلا غرو إذا كان صحابته الذين قبسوا من نور نبوته وداروا حوله كما يدور الفلك الدوار في مدارته رجالاً على هذا

الشكل، فأي مجتمع لا يمكن له أن ينهض إلا على أساس من التكافل والتعاون والتساند، الذي يقويه ويشد دعائمه المحبة والمؤاخاة المتبادلة، وإذا تلاشت تلك الخصال من المحبة وغيرها في أي جماعة فلا سبيل لها إلى الالتفاف حول مبدأ ما. (الغزالى / فقه السيرة، البوطى: الموضع النفسه، د/ محمد حسين هيكل – حياة محمد).

عن جابر بن عبد الله — رضي الله عنه– قال: أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– بعث بعثاً قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح –رضى الله عنه– وهم ثلاثمائة وأنا فيهم، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله، فكان مزودي تمر فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني، فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة فقال محدثه، وما تعني تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت قال: ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا، ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مرت تحتها فلم تصبهما. (ابن بطال الركبي على صحيح البخارى . 1423هـ).

وهذه القسمة موضوعة بالمعروف، فأبوعبيدة جمع بقية أزواد الناس، ثم أشركهم فيها بأن قسم لكل واحد منهم،وقد كان فيهم من لم يكن له بقية طعام، وقد أعطى بعضهم أقل مما كان بقي له ولآخر أكثر. (ابن بطال:شرح صحيح البخارى).

والنهو هو إخراج القوم نفقاتهم على قدر عدد الرفقة، ويكون في السفر وغيره، وقد تتفق رفقة فيضعونه في الحضر كم فعل الأشعريون، وأنه لا يتقيد بالتسوية إلا في القسمة، وأما في الأكل فلا تسوية لاختلاف حال الآكلين. (ابن حجر العسقلانى/ فتح البارى ،3791هـ العينى/ عمدة القارى . 1427هـ).

فالغرض الأساسى من هذا الاشتراك هو محض التكافل والتآزر الذي يحقق الضرورات ويوفرها للمجموع، وهذا التكافل يتحقق بين المجموعة سواء اشتركوا فيما بينهم بأسهم متساوية أو كان هناك تفاوت بينهم،ورغم هذا التباين في الإسهام يمكن أن يتساووا فيما بينهم في الأخذ؛ كما بين حديث الأشعريين وحديث جابر السابق الإشارة إليهما.

يقول الإمام أبو زهرة:(وهكذا نري أن واجب المؤمنين أن يتضافروا في إيجاد مجتمع فاضل، ولا يسكت مؤمن منهم عن الدعوة إلى الحق، بل إن التكافل الاجتماعي الخلقي يوجب عليه أن يسهم في بناء المجتمع الفاضل، فيمنع شره، ويدفعه إلى الخير؛ ولقد نهي النبي–صلى الله عليه وسلم– المؤمن أن يقف على الحياد في معركة الخير والشر، بل علمه أن يكون عنصراً إيجابياً؛عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–:"لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا".(سنن الترمذي، ،كنز العمال).

المطلب الرابع

التكافل بين المعنوي والمادي

أولا:التكافل المعنوي:وهو التضامن الأدبي والشعور النفسي مع الآخرين في المجتمع المسلم، فيشاركهم أفراحهم، وأتراحهم، وألامهم.

فهو شعور متبادل بين أفراد المجتمع المسلم، يحب الإنسان فيه الخير لغيره كما يحبه لنفسه.

لا غرو إذا قلنا إن تشريع التكافل من شأنه أن يرأب الصدع في كثير من العلاقات الاجتماعية بين الناس، وخصوصاً وقت الأزمات.

فالشريعة الغراء بمبادئها السامية وقيمها الخالدة ومثلها الرفيعة جديرة بأن تحقق للإنسان كل ما يرنوا إله من عزة ورفاهية وسعادة، وأحكامها وتشريعاتها تهدف دائما إلى تحقيق مصالح الناس ورفع العنت والمشقة عنهم.

فأحكامها مبنية على المصلحة، غايتها دفع المفسدة، وهذا يبدو جليا لمن يتأمل مرامي وأهداف الشريعة الغراء، ويجول بفكره وعقله في مبادئها وما أتت به من أحكام.

فشريعة كهذه من شأنها أن تحوط المجتمع بسياج من المودة والرحمة والتآلف،وتغرس في أعماق النفوس بذور المحبة والإخاء،وتبث في أرجائه كل المعانى الطيبة من التكامل والإخاء والبر، لجديرة بأن تكون النبراس الذي نهتدي به في جوانب حياتنا.

فالتكافل هو تضامن مشترك بين أفراد المجتمع، بحيث يشعر الفرد بمسئوليته عن غيره في كافة نواحي الحياة المادية والمعنوية.

والإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين؛ وإنما دائما في حاجة إلى غيره، وهو ما يعبر عنه بالاجتماع والتعاون، فهو ضرورة للنوع الإنساني حتى يكتمل وجوده، وتتحقق إرادة الله في إعمار العالم، الذي يتحقق باستخلاف الإنسان في الأرض.

(ضرورى للنوع الإنساني وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم). (المقدمة لابن خلدون).

والأفراد في المجتمع الإسلامى يؤلفون قوة متماسكة متعاونة، بل إن الإسلام يوجب على من يعيش في ظلاله وتحت رايته أن يكون آحاد الناس في كفالة جماعتهم في كل مناحى الحياة المادية والمعنوية.

فالتكافل المعنوي فريضة واجبة لله وللرسول ولأمراء المسلمين وعامتهم؛ ففي الحديث عن تميم الداري أن النبي--صلى الله عليه وسلم- ، قال:" الدين النصيحة " قلنا : لمن ؟ قال:" لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".(صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة).

فالنصيحة هي عماد الدين وقوامه، وهي لله تعنى الإيمان به، ونفي الشرك عنه والقيام بطاعته واجتناب معاصيه، والنصيحة للكتاب الإيمان بأنه كلام الله تعالى، وتحليل ما حلله وتحريم ما حرم والاهتداء بما فيه، والنصيحة للرسول تصديق بما جاء به، واتباعه فيما أمر به ونهي عنه، وتعظيم حقه وتوقيره حيا وميتاً، والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتذكيرهم بحوائج العباد،ونصحهم بالرفق والعدل،والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم في دنياهم وأخراهم، وكف الأذى

عنهم،وتعلمهم ما جهلوه، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر ونحو ذلك.(الصنعاني–سبل السلام – 1379 هـ ، المناوى– التيسير بشرح الجامع الصغير 1988م).

وشأن المجتمع المتكافل أن يحمل على عاتقه الأخذ بيد كل فرد إلى ما يحسن،وأن يدفعه إلى تزكية نفسه قدر ما يستطيع،فهو مجتمع إنسانى بأقصى ماتحمله هذه الكلمة من معان وإيحاءات.(عبد الواحد / المجتمع الإسلامى . 1974م).

ولقد أولى الإسلام التكافل المعنوي اهتمامه إلى جانب التكافل المادي؛ فالتكافل يغرس في النفس الإنسانية الشعور بالمسئولية؛ وأن مجتمع هذا شأنه حقيق برعاية الله؛ لأنه سبحانه وتعالى يرعى المتضامنين المتكافلين؛قال تعالى :(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).(سورة البقرة الآية 257).

فالمجتمع المتضامن جدير بمن الله وكرمه ورعايته؛ لأنه مجتمع المؤمنين المتعاونين المتحابين وفي الحديث (عن أبي موسى –رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال:" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه). (صحيح مسلم كتاب البر والصلة والأداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم).

والتكافل المعنوي ينأى بالإنسان عن مشاعر السلبية والفردية والأثرة،والانكفاء على الذات والأنانية الممقوتة، ويحيل علاقته بغيره مقياساً لإيمانه، ومعياراً لمدى استقامته، ففي الحديث عن أنس–رضي عنه– عن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال:"لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".(صحيح البخارى كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم).

وحين يكون التكافل على هذه الصورة والشاكلة تتلاشى كل صور الصراع والتظالم،وتسود قيم المحبة والتعاون والود، وهذه الصورة الحسنة هي أساس تمايز الإسلام عن غيره في تأسيسه للمجتمع وتنسيق علاقات أبنائه؛ فالقرآن يقدم هذه الصورة جلية وكأنها تتبدى لك أمام ناظريك في وصفه لمجتمع المسلمين الأول.

قال تعالى (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ).(سورة الحشر، الآيات رقم(9، 10).

وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود، تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب؛ وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة، كما يذكر أخاه الحي أو أشد، في إعزاز وكرامة وحب، ويحسب السلف حساب الخلف،ويمضي الخلف على آثار السلف صفاً واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان، تحت راية الله تغُذَ السير صعداً إلى الأفق الكريم ، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم".(قطب :الظلال).

ثانيا:التكافل المادي:وهو بذل المال، والوقت لمساعدة الآخرين وإعانتهم وقت الحاجة؛ للتغلب على ما يقابلهم من عقياتٍ وظروف؛ بُغية تحسين أحوالهم.

والتكافل بنوعيه نابع من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وهذا الإيمان أعظم ضمانة لاستمرار التكافل وديمومته؛ فالمسلم حين يشعر وهو يتعاون مع غيره وقت الأزمات بأنه يفعل ذلك حباً للمولى سبحانه وتعالى، وتقرباً له لا ينقطع عن فعل الخير، ومساعدة الآخرين، وأن ذلك استجابة لقول الحق سبحانه

وتعالى:" وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ". (سورة البقرة، من الآية رقم (272).

وقال سبحانه وتعالى:" مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ". (سورة النحل، الآية رقم (97).

وقال عز وجل:" وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ". (سورة الروم الآيية رقم (44).

وقال عز من قائل:" وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ". (سورة غافر،الآية رقم(40).

وهذا التكافل الملموس والمحسوس نابع من التكافل الأدبي، بل إن التكافل الأدبي هو المؤسس له حين تتربى النفس على قيم الإسلام وهديه، وتشرق فيها شمس الإيمان تدفعها إلى الإيثار والمحبة والتراحم،فتندفع بكل قواها إلى بذل الخير ونشر بذور المحبة، فتساهم بكل قواها الجسدية والمادية في سد الخلل في جسد المجتمع المسلم.

فالحياة لا تستقيم بالتكافل المعنوي وحده، وإنما بالتكافل المادي الذي يشمل كل ضروريات الحياة،بما يوفر للإنسان معيشة كريمة لائقة بآدميته.

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت (وأن التكافل المادي يشمل ضروريات الحياة والعيش الكريم في ظل الجماعة المؤتلفة، إذا لا يستقيم أمر الحياة إلا بالتكافل المادي بين الأفراد على أن التكافل المادي في الشريعة الإسلامية بحكم تعالى مها السماوية لا يمثل إلا جانبا من التكافل الاجتماعي العام في الإسلام، ولا يقتصر على سد حاجة الأفراد أو المجتمع ماديا من حيث الغذاء والكساء والسكن من كل ما هو ضروري لقيام الحياة في صورتها المادية،بل يتناول مقومات الفرد الأساسية في الحياة من حفظ دينه ونفسه وماله ونسله وعقله).(شلتوت – التكافل الاجتماعى فى الإسلام – –مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة).

هذا التكافل المادي النابع من التكافل المعنوي إن لم يتحقق على أرض الواقع بدافع داخلي، نابع من كيان الإنسان وبصورة تلقائية تحدوه إلى الخير وفعله، كان لولى الأمر بما تخوله له سلطته أن يقسر الإنسان على تنفيذه بقوة السلطان.

والإنسان كفرد له كيانه المستقل به، إلا أن ذلك لا يعني الإخلال بواجباته نحو مجتمعه؛ فارتباط الفرد بالمجتمع في نظر الإسلام ارتباط وثيق؛ لكون الإنسان جزءاً من هذا المجتمع، يشاركه الأفراح والأتراح، يتعاضد مع مجتمعه لإقامة صروح الحق والعدل والخير المشترك الذي يحقق مصلحة المجموع، وهذا هو التوجيه القرآنى للمسلمين جميعا (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ). (سورة المائدة من الآية رقم (2).

والبر كلمة جامعة لكل ضروب الخير في كل جوانب الحياة بشقيها المادي الملموس والمعنوي،وقد تكررت هذه الكلمة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، ولهذا التكرار غرضه الذي يرتجيه الإسلام،ولعل من أهداف هذا التكرار هو بناء الشخصية الإيجابية التي تنزع إلى الخير وتتسابق إليه في فعله والحث عليه إن قصرت إلىد عن البذل والعطاء.

قال تعالى:(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ.(سورة البقرة من الآية 177).

والإنسان لن يلامس الخير إلا بالتعود على البذل والمنح والإعطاء، قال تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) (سورة آل عمران من الآية 93).، وقال سبحانه:(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى). (سورة المائدة من الآية 2).

فأحكام الشريعة الغراء تقوم على أساس القاعدة التكافلية التي قررتها الآية السابقة كأساس لبناء المجتمع المسلم القائم على التكافل بشقيه الإيجابي والسلبي، وبوجهيه المادي والأدبي، فالآية الكريمة أصل عظيم

من أصول التكافل بين المسلمين، جاء في الموافقات" أنه لا يجوز التعاون على الإثم والعدوان بإطلاق". (الشاطبي: الموافقات – 1997م).

التكافل الأسري في ظل الأزمات:

الأزمات في الغالب تخلق بيئة ضاغطة على الأفراد، سواء أكانت أزمات اجتماعية أم صحية، وتكون عامل دافع للجحود من الأبناء للوالدين والأقارب، فالآباء والأمهات يستجدون عطف أبنائهم عليهم، يتمنون نظرة قبل مفارقتهم الحياة (نظرة وداع)، وتقريراً للحقيقة ليس كل الأبناء على هذه الشاكلة من الجحود والنكران للوالدين.

مما لا شك فيه أن بناء أي مجتمع متماسك، متكافل ينطلق من الأسرة، فالأسرة هي ركيزة المجتمع، وهي اللبنة الأولى للتربية الرشيدة، والتزكية الحميدة، ومن هذا المحضن تتأصل الأخوة، ووشائج القربي، وصلة الرحم، ولذا كانت تنشئة الطفل على قيم التكافل من الأمور المهمة؛ التي تشكل وعيه في المستقبل، وتحكم علاقاته بوالديه، وأقاربه، ومجتمعه، هذا التكافل حين يتربى في وعي الفرد منذ صغره يصبح منهج حياة، لا يحيد عنه، ولا يتكلفه، بل يمارسه بعفوية، ويبادر في أدائه؛ امتثالاً لأوامر دينه، وتعلماته.

فالتكافل بين أفراد الأسرة مظهر حضاري إسلامي، مظهر من مظاهر الكرامة الإنسانية،والإسلام شدد وهو بصدد إقامته لصروح البناء الأُسري، شدد على روح التكافل التي تجمع بين أفراد الأسرة، فأسس ذلك على المودة والمحبة، وعَدَّ ذلك مقصداً عظيما ينبغي أن تنشأ عليه الأسرة؛ قال تعالى :" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ". (سورة الروم، الآية رقم (21).

فالمودة والرحمة هي التي ينبغي أن تسود بين أفراد الأسرة، تجعل كل فردٍ فيها في خدمة الآخر ورعايته، ومساندته في أوقات الشدة والرخاء، فهذه الروح ينبغي أن تكون حاضرة داخل نطاق كل أسرة، وإذا

تلاشت تلك الروح غاض الحب، وتلاشت المودة والتكافل، وهل يوجد تعاون وإيثار في غياب روح التكافل؟

فالتكافل داخل الأسرة،سواء أكان تكافلاً مأدياً، أم معنويا(عاطفيًا) لا سيما مع الوالدين أمر في غاية الأهمية؛ ليتحقق الدفء الأسري، والترابط بين أفراد الأسرة في جوٍ من المحبة والوئام والسلام.

فما نشاهده من مظاهر انحراف في علاقة الأبناء بالأباء في ظل هذه الأزمة وتداعياتها، وشذوذ عن هذا النهج الذي رسمه الإسلام، كل هذا وقف الإسلام منه موقفاً حاسماً، فرفضه، وشدد النكران عليه؛ لأن العلاقات الأسرية ينبغي أن تكون قوية ومتينة، لا تؤثر فيها الأزمات، فالعلاقة بين أفراد الأسرة أساسها التراحم، وأي تراحمٍ حين يترك الابن أحد والديه وهو مريض، ولا يلتفت لمناشدته إياه، ويتلهف لرؤيته قبل أن يطويه الموت بجناحيه، والأبناء لا يكترثون بذلك؟

فالتراحم بين أفراد الأسرة يقتضي العطف والحنو على من كان في ضائقةٍ، فعطف الأباء على الأبناء فطرة جُبِل الإنسان عليها، وقد أمر الله سبحانه في كتابه بالبر بالوالدين والإحسان إليهما، لا سيما وقت ضعفهما، واحتياجهما للرعاية، والعناية، فقال تعالى :" وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً،وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً".(سورة الإسراء، الآيات رقم(23، 24).

وتوعد الإسلام كل من قام بعملٍ يؤدي إلى هدم علاقات صلة الرحم، وجعل قبول الأعمال مرهون بصلة الرحم، والإحسان إلى الأقارب؛ عن عَائِشَةَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ".(صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا).

فوجود التراحم داخل الأسرة يؤدي لا محالة إلى التكافل، والتراحم في الأوقات الصعبة، والتراحم يدفع الإنسان إلى المسارعة لنفع الآخرين، وإيجاد الحلول لمشاكلهم، وإيصال النفع لهم.

وتربية النَّشْءِ وتنشئته على قيم التراحم، يجعل العلاقات الأسرية متينة صلبة، لا تزعزعها الأزمات، ولا تؤثر فيها المعضلات، فيسود التكافل بكل أنواعه.

ولنا أن نتوجه بالسؤال لمن سولت لهم أنفسهم، بقطع صلة الرحم، وترك الوالدين يصارعان الموت، دون سؤال عنهما، أو عنايةٍ بهما، كيف تعيش حياتك؟ هل لا تشعر بوخز الضمير يؤلمك؟ وبماذا تجيب يوم أن تقف بين يدي أعدل الحاكمين؟

نفقة الأباء كنوعٍ من التكافل الاجتماعي في ظل أزمة كورونا عند فقهاء المذاهب

فنفقة الوالدين واجبة بالأمر الإلهي بالإحسان إلى الوالدين، والإنفاق عليهما حال فقرهما من أحسن الإحسان، والشكر للوالدين هو المكافأة لهما، بالمجازاة ببعض ما كان منهما من التربية والبر والعطف عليه والوقاية من كل شر ومكروه، وذلك عند عجزهما عن القيام بأمر أنفسهما، وإدرار النفقة عليهما حال عجزهما، وحاجتهما من باب شكر النعمة.

فنفقة الأبناء على الوالدين واجبة من غير توقفٍ على حكم حاكم. (النفراوي:الفواكه الدواني،1995م).

وفي الحاوي" نَفَقَةُ الْوَالِدِ وَاجِبَةٌ عَلَى وَلَدِهِ، بسبب الفقر، أو العجز عن التكسب، لكبر السن، أو لكونه مجنوناً، أو لكونه مريضاً. (الماوردي، الحاوي، دار الفكر).

وعند السادة الحنابلة لا يشترط في وجوب نفقة الوالدين والمولودين نقص الخلقة(المريض) ولا نقص الأحكام(المجنون) في ظاهر المذهب. (لمغني،1405هـ).

ونفقة الأولاد على الوالدين في حالة العجز عن التكسب، أو لكونهم فقراء من المسائل المجمع عليها عند الفقهاء. (المغني، 1405هـ، النفراوي، الفواكه الدواني،1995م.).

وفي المحلى لا بن حزمٍ"وَفُرِضَ عَلَى الأَغْنِيَاءِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ أَنْ يَقُومُوا بِفُقَرَائِهِمْ,وَيُجْبِرُهُمْ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ, إنْ لَمْ تَقُمْ الزَّكَوَاتُ بِهِمْ, وَلاَ فِي سَائِرِ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ, فَيُقَامُ لَهُمْ بِمَا يَأْكُلُونَ مِنْ الْقُوتِ الَّذِي لاَ بُدَّ مِنْهُ, وَمِنْ اللِّبَاسِ لِلشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ بِمِثْلِ ذَلِكَ, وَبِمَسْكَنٍ يَكُنُّهُمْ مِنْ الْمَطَرِ, وَالصَّيْفِ وَالشَّمْسِ, وَعُيُونِ الْمَارَّةِ".(ابن حزم:المحلي،دار الفكر،مسألة (725).

نتائج البحث وتوصياته

-القيم في الإسلام ذات معايير ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وهي قيم تقوم السلوك للفرد، وتدفعه إلى الاعتدال والاستقامة.

-القيم الإسلامية قادرة على نسج وتشكيل الشخصية للإنسان، مما يجعله قادرًا على التفاعل بإيجابية مع المجتمع الذي يعيش فيه، والانسجام الكامل مع أفراده.

-الإسلام كلف الفرد المسلم بمجموعة من القيم تشكل إطارًا لحياته، لا يستطيع أن يخرج عنها، سواء أكانت قيمًا سلبية، أُمِرَ بالنأي عنها، أو قيما إيجابية عليه أن يتحلى بها.

-للقيم الإسلامية مصادر تُسْتقَى منها، ومنابع ينهل منها المسلم، ويأتي القرآن الكريم على رأس هذه المصادر، تليه السنة النبوية، التي تمثل البيان النبوي للقرآن الكريم.

- مجالات القيم في الإسلام شاملة لكل جوانب الحياة، فلم تترك القيم في الإسلام أي جانب إلا وحددت الطريق الأمثل له، كما أنها ذات نفعٍ عام يعود بالخير على المجتمع كله، ويزود عنه الضرر.

-فالقيم الإسلامية هي الدين نفسه، فهي جامعة للعقيدة والشريعة، والأخلاق، والعبادات والمعاملات، فهي منهج حياة، وهي الأساس التي يقوم عليه أي مجتمع، ومعيار للصواب والخطأ، بها يميز الإنسان بين الخير والشر، بين الطيب والخبيث، وإليها يرجع الإنسان لتكون الهادي له في سلوكه.

- التكافل من الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي: فالمجتمع في الإسلام كيان متواصل، متراحم، متكاتف، والإنسان ينبغي أن يعيش فيه حياة كريمة تليق بإنسانيته، وكرامته الإنسانية، فلا يشعر بالحاجة والعوز، ولا يقاسي آلام الحرمان، وذل الحاجة، بينما الآخرون يرفلون في النعيم، ويقوم التكافل بدور كبير، عند حدوث الأزمات، كالأوبئة (وباء كورونا كمثال)، فيسد ما تعجز الدول والحكومات عن القيام به.

-التكافل تآزر وتعاون بين أفراد المجتمع، يقوي من أواصر العلاقات الاجتماعية، ويشدها برباط وثيق من المحبة والود.

- التكافل منظومة تربوية وأخلاقية؛ تربي في الفرد الشعور بالمسئولية تجاه الآخرين، فلا يعيش منعزلا عن مشاكل الآخرين وآلامهم.

-التكافل سمة من سمات المجتمع المسلم على مدار تاريخه، منذ ولادته على يد صاحب الرسالة الخاتمة، وحتى يومنا هذا.

-تقرير الإسلام للتكافل، بل وإلزام أتباعه بذلك، وسبقه للأنظمة والتشريعات الوضعية في ذلك.

-على كل فرد مسئولية تجاه مجتمعه؛ لكونه جزء من هذا المجتمع؛ يعيش أفراحه وأتراحه.

المصادر

البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، صحيح البخاري– بيروت – الطبعة الثالثة – 1407هـ – 1987م.

-البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقي:السنن الكبري- - مجلس دائرة المعارف النظامية- الهند:الطبعة : الأولى ـ 1344 هـ.

البوطي:د/ محمد سعيد رمضان البو طى: فقه السيرة النبوية – دار السلام للطباعة والنشر سنة 1428هـ.

- البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (ت: 730هـ)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام، ت: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م

الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت 279هـ) سنن الترمذي، ت،أحمد محمد شاكر،ومحمد فؤاد عبد الباقي ،مصطفي البابي الحلبي – مصر،الطبعة الثانية، 1395هـ – 1975م.

ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:241هـ)، المسند،ت: شعيب الأرنؤوط–مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية — 1414هـ– 1994 م.

ابن حزم:المحلى: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفي : 456هـ): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

ابن حجر العسقلانى:أحمد بن على بن حجر أبو الفضل ،فتح البارى شرح صحيح البخارى دار المعرفة بيروت، 1379هـ–1973هـ.

ابن خلدون:عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة، الطبعة الرابعة دار إحياء التراث العربي بيروت،لبنان.

الزيلعي: تبيين الحقائق:فخر الدين عثمان بن على الزيلعي الحنفي، دار الكتاب الإسلامي،1313 هـ، القاهرة.

أبو زهرة:الإمام الشيخ/ محمد أبوزهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام– دار الفكر العربى القاهرة– 1991م.

الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطى — الموافقات، الطبعة الأولى 1414هـ — 1997م.

شلتوت: محمود شلتوت: التكافل الاجتماعى في الإسلام – مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

الصاوي:بلغة السالك،أحمد بن محمد الصاوي المالكي،مكتبة مصطفي البابي الحلبي: 1372 هـ – 1952 م

الطبرانى:سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ) المعجم الكبير،الطبعة الأولى: 1427هـ – 2006م.

عبد الواحد:د.مصطفي عبد الواحد: المجتمع الإسلامى – ط2 دار الجيل بيروت ـ 1974م.

الغزإلى:الشيخ/ محمد الغزالى– الإسلام والأوضاع الاقتصأدية، الطبعة الثالثة — دار نهضة مصر–2005م.

الغزإلى:الشيخ/ محمد الغزالى ـ فقه السيرة– الطبعة الثانية 1409هـ ـ 1989م.

ابن قدامة:المغني: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد: دار الفكر – بيروت،الطبعة الأولى ، 1405هـ.

الكاساني:بدائع الصنائع، دائع الصنائع في ترتيب الشرائع،علاء الدين الكاساني(ت 587هـ)،دار الكتاب العربي،1982م،بيروت

مسلم– مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيرى النيسابورى – صحيح مسلم،دار إحياء التراث العربي – بيروت– ت – محمد فؤاد عبدالباقى.

الماوردي:الحاوى الكبير،العلامة أبو الحسن الماوردى/ دار الفكر . بيروت

النيسابورى:المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابورى – دار الكتب العلمية – بيروت – 1411هـ – 1990م.

النفراوي:الفواكه الدواني: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت 1126هـ): دار الفكر: 1415هـ – 1995م.

هيكل:د/محمد حسين هيكل:حياة محمد/دار المعارف، الطبعة الرابعة عشرة.